جهود السلطان خليل بن قلاوون في القضاء على التواجد الصليبي في بلاد الشام

م.د طارق عودة مري مهدي التميمي
ديوان الوقف الشيعي – دائرة البحوث والدراسات

ملخص البحث

الحملات الصليبية، تلك الحملات، التي دعا إليها البابا أوربان الثاني عام ١٠٩٥م في مجمع كليرمونت، جنوب فرنسا، والتي كانت تهدف إلى تحرير بيت المقدس من المسلمين ، لقد تمكن الصليبيون من احتلال فلسطين، وسيطروا على القدس عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م ونتج عن هذه الحملات تأسيس أربعة إمارات صليبية هي إمارة طرابلس، وأنطاكية، وإمارة بيت المقدس، وإمارة الرها.. واستمرت مقاومة المسلمين لهم ونتج عنها تحرير اغلب مناطق بلاد الشام ولم يبقى في أيدهم سوى عكا التي طردوا منها على يد السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون الذي أكمل مسيرته الجهادية محررا مدن صور وصيدا وبيروت وحيفا وطرطوس وعتليت ، بعد أن خرب جميع القلاع والحصون الموجودة في هذه المدن خوفا من رجوع الصليبيين لها مرة أخرى كما فعلوها سابقا في زمن صلاح الدين الأيوبي تحول الأشرف بعد تحرير الشام من الصليبيين لقتال ملك الأرمن حليف المغول والصليبيين ، ولما شعر بقوة موقف الملك الأشرف خليل، تخلى له عن قلاع بَهَسْنا ومرعش وتل حمدون التي تتحكم بالطرق المؤدية إلى حلب، وبعد أن رتب الأمور في الشام عاد الملك الأشرف خليل إلى مصر ودبر له بعض أمرائه مكيدة قتل على أثرها في ٢ محرم من سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م وبذلك انطوت صفحة من صفحات الجهاد المماليك.

مفاتيح الكلمات

الحروب الصليبية، المماليك البحرية ، بوهمند السادس ، الظاهر بيبرس ، حصار عكا ، صيدا ، السلطان قلاوون .

The efforts of Sultan Khalil bin Qalawun in the judiciary on the Crusader presence in the Levant

Dr. Tarek Odeh Mery Mahdi Al-Tamimi

Campaigns, called by Pope Urban II in m at the Claremont, South of France, which was intended to liberate Jerusalem from the Muslims, it enables the Crusaders from the occupation of Palestine, and took control of Jerusalem in 1099 492/m these campaigns resulted in the establishment of four E signs crusade is the Emirate of Tripoli, the Principality of Antioch, Jerusalem, the Principality of Edessa.

Muslim resistance continued and resulted in most areas of editing The Levant and never stays in the hands only of acre which they were expelled by the Mamluk Sultan Al-Ashraf Khalil Ibn qalawun who complete jihadism career editor cities tyre and Sidon and Beirut and Haifa and Tartus weatlit, having ruined all the castles and forts in these cities for fear of turning back the Crusaders again as they did Here already in the time of Saladin turned Ashraf after the liberation of Sham from the Crusaders to fight Armenian King ally Mongols and Crusaders, as strongly felt position of King al-Ashraf Khalil, gave up his wemrash bhsna castles and Tel hamdoun that control methods Leading to Aleppo, and having arranged it in Sham King al-Ashraf Khalil to Egypt and plotted some scheming to murder a woman in 2 Muharram of the year 693 so Mamluk Jihad page involved.

المقدمة

يعتبر الغزو الصليبي من اخطر ما تعرض له العالم الإسلامي بل قد يفوق الغزو المغولي على الرغم من قسوة و وحشية أساليبهم التي زلزلوا بها أركان العالم، لكنهم لم يلبثوا أن ذابوا في خضم الحضارة العربية الإسلامية، بل صاروا فيما بعد من المساهمين في بنائها والحفاظ عليها عندما اعتنقوا الإسلام ، في حين اتبع الصليبين أسلوبا اخطر هو أسلوب الغزو والاستقرار أي احتلال المناطق الإسلامية وتهجير أهلها ومحاولة تحويل ديانتهم إلى المسيحية، أي كان الصراع صراعًا بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأوربية الكاثوليكية في حين لم يكن ضمن أجندة وسياسة المغول مبدأ الاستيطان، بل اكتفوا باحتلال الأرض ونهب ما يجدونه أمامهم من خيرات البلدان وترك حاميات عسكرية مغولية لحماية مصالحهم السياسية والعسكرية(١).

جهز الصليبيين ثمان حملات على بلاد المسلمين توزعت على بلاد الشام ومصر وتونس وأخرى تحولت باتجاه القسطنطينية نتج عنها بناء أربع إمارات صليبية هي إمارة أنطاكية وإمارة الرها وإمارة بيت المقدس وإمارة طرابلس ، رغم قوة الصليبين وانتصاراتهم المتتالية لم يقف المسلمين مكتوفي الأيدي ، بل جهزوا حملات عسكرية بقيادة عماد الدين زنكي الذي أكمل المسيرة الجهادية لوالده نور الدين محمود، وبعد وفاته أكمل صلاح الدين الأيوبي المسيرة الجهادية ففتح الله على يديه بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م ، وعندما اعتلى المماليك السلطنة في مصر والشام كان أمامهم تحديان هما الغزو المغولي والصليبي فأتبع المماليك في بداية الأمر سياسة التحالفات العسكرية والسياسية مع الصليبيين من اجل التفرغ لمحاربة المغول الذين نصرهم الله عليهم في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٨٦م ، وبعد أن أمن المماليك شر المغول توجهوا إلى محاربة الصليبيين فقام السلطان الظاهر بيبرس بعدت حملات عسكرية نتج عنها تحرير إمارة إنطاكية وطرد الصليبيين منها ، وأكمل بعده حملات الجهاد السلطان قلاوون الذي نصره الله بتحرير إمارة طرابلس ، وشرع بحصار مدينة عكا لكن الأجل وافاه فأكمل مسيرته ولده السلطان الاشرف خليل الذي تم على يديه طرد أخر جندي صليبي من بلاد الشام وبذلك تحررت جميع مدن الشام من سيطرة الصليبيين

واقتضت ضرورة البحث تقسيمه إلى مقدمة و ثلاث مباحث، تحدثت في المبحث الأول عن بدايات الغزو الصليبي للعالم الإسلامي وما نتج عنه من دمار وسفكٍ للدماء ، فضلا عن تسليط الضوء على التحالف المغولي الصليبي وأثاره على العالم الإسلامي عموما وعلى بلاد الشام خصوصا ، وحاولت في المبحث الثاني إعطاء فكرة موجزه عن تاريخ المماليك ودورهم

السياسي والعسكري في بلاد الشام مركزا على جهود السلطان الاشرف خليل بن قلاوون ، أما المبحث الثالث فخصصته إلى جهاده ضد الصليبيين ومن تحالف معهم من المغول والأرمن .

المبحث الأول : الغزو الصليبي للدولة العربية الإسلامية

مصطلح الحروب الصليبية أطلق على الحملات العسكرية التي شنها الأوربيين على المشرق الإسلامي خلال قرنين من الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي، بمباركة وتأيد الكنيسة الكاثوليكية في روما ، بدعوى تحرير بيت المقدس من أيدي المسلمين، وسميت بالحروب الصليبية لان الصليب هو الشعار الذي وضعوه الجنود على صدورهم [٢]

جهز الصليبين ثمان حملات على بلاد المسلمين كان نصيب بلاد الشام منها أربع حملات هي الأولى والثانية والثالثة والسادسة ، في حين توجهت الرابعة باتجاه القسطنطينية ، أما الحملتين الخامسة والسابعة اتجهت نحو مصر والثامنة باتجاه تونس ، اغلب هذه الحملات لم تحقق أهدافها بل انحرفت باتجاهات أخرى لتحقق أهداف اقتصادية وسياسية لمصلحة قادة هذه الحملات.[٣]

ففي سنة ٤٩١ هـ/١٠٩٧ م تجمع الصليبين وجهزوا قوه عسكرية من اغلب مناطق أوربا كان أكثر جنودها من الرعاة وأبناء الطبقات الفقيرة في فرنسا ، في حين كان قادة الجيش من أمراء وفرسان أوربا ، منهم جود فري الذي أصبح في ما بعد ملك بيت المقدس وأخيه بلدوين و ريموند الرابع كونت تولوز وبوهمند النورماني وغيرهم ، متوجهين بجيوشهم نحو بيت المقدس فدخلوا بلاد الشام من جهة الشمال على الرغم من المقاومة التي أبداها السلاجقة[٤]، استطاعوا احتلال أنطاكيا، وأسسوا فيها أول إمارة صليبية في المشرق سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٨م وأرشح لإمارتها بوهيموند الأول[٥].

ثم توجهوا في نفس السنة إلى الرها واحتلوها فأستقل بها بلدوين البولوني مؤسساً لنفسه إمارة صليبية ثانية فيها [٦].

في حين وصلت القوة الصليبية الباقية إلى بيت المقدس في ٢٣ شعبان ٤٩٢ هـ / ١٤ يوليو ١٠٩٩م ، وتمكنوا من احتلالها بعد حصار دام عاماً كاملاً ، وبذلك انتهكوا حرمة المسجد الأقصى وأراقوا دماء المسلمين الذين كانوا قد احتموا فيه ، [٧]

وبسبب هذا النصر تمكنوا من تأسيس إمارة ثالثة لهم في بيت المقدس التي انتخب جود فري الفرنسي ملكا عليها ، ولم يكتفي الصليبيين بهذه الانتصارات ، بل جهزوا حملات أخرى على بلاد المسلمين مستغلين حالت الانقسام والضعف لدى القوى الإسلامية ، التي كانت في حالة تناحر فيما بينها ، ونتج عن تلك الحملات سقوط اغلب مناطق بلاد الشام بيد الصليبين ، وتأسيس أربع أمارات صليبية ، هي أمارة أنطاكيا ، و إمارة الرها ، و إمارة بيت المقدس و إمارة طرابلس في سنة ٥٠٣هـ /١١٠٩م [٨] .

ورغم قوة الصليبين وانتصاراتهم المتتالية لم يقف المسلمين مكتوفي الأيدي ، بل جهزوا حملات عسكرية بقيادة عماد الدين زنكي الذي تولى إمارة الموصل سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م و الذي أكمل المسيرة الجهادية لوالده نور الدين محمود ، والذي تمكن من تحرير الرها من أيدي الصليبين(٩).

وبعد وفاة نور الدين محمود أتم صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية في مصر مسيرة الجهاد ضد الصليبين ففتح الله على يديه بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ/١١٨٧م(١٠)

بعد أن خاض عدة معارك كان أشهرها معركة حطين ووقعت في يوم السبت ٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣ هـ / ٤يوليو ١١٨٧م، والتي نصر الله فيها جند الإسلام ، وتمكنوا من تحرير بيت المقدس، وعاملو أهلها من المسيحيين باللين والحسنى ، ورغم سياسة التسامح الديني لم يقتنع الصليبيين بذلك وجهزوا حملة عسكرية بقيادة ريتشارد المعروف بقلب الأسد ملك انكلترا وفليب أوغسطس ملك فرنسا وفردريك ملك ألمانيا وتمكنت هذه الحملة من السيطرة على عكا ويافا وعسقلان ، لكنها لم تتمكن من دخول القدس ، رغم حصارها البري والبحري الذي استمر لمدة عامين من ٥٨٦-٥٨٨هـ /١١٨٩-١١٩١م ، انسحب الصليبين بعد توقيعهم اتفاق مع صلاح الدين الأيوبي على أن تترك أراض الساحل بيد الصليبيين وتبقى القدس بيد المسلمين ، شرط تطبيق سياسة التسامح الديني فيها والسماح للحجاج المسيحيين (١١)

لكن الصليبين لم يتركوا إطماعهم في البلاد الإسلامية رغم الهزائم المتكررة التي لقنهم إياها المسلمون فجهزوا في سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م حملة صليبية توجهت إلى مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا سميت بالحملة الصليبية السابعة ، استولى خلالها على ثغر دمياط ، لكنه فشل في السيطرة على مدينة المنصورة ، حيث وقع أسيرا في أيدي الأيوبيين ، وأطلق صراحة بعد دفع فدية مالية كبيره للمسلمين فضلا عن أطلاق سراح جميع الأسرى المسلمين وغيرها من الشروط الأخرى (١٢). وبعد وفاة أخر سلاطين الأيوبيين نجم الدين أيوب سيطر المماليك على السلطة في مصر وأعلنوا دولتهم التي امتدت إلى بلاد الشام.

المطلب الأول: التحالف الصليبي المغولي

يرجع تاريخ العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين إلى أيام الأولى للحروب الصليبية ، فكانت الكنيسة ترى في المغول حليفا قويا لها في حروبها ضد المسلمين ، وكانت تخطط إلى إقناعهم بالدخول في الديانة المسيحية ، من اجل تكوين قوة عسكرية تقهر فيها السلاجقة والمماليك وباقي القوى الإسلامية الأخرى ، في حين كان هدف المغول من هذا التحالف هو السيطرة على العالم الإسلامي والمسيحي في أوربا على حد سواء ، لذا انتبهت بعض القوى الصليبية لذلك فلم

تكن متحمسة لعقد مثل هكذا تحالف ، وحاولت هذه القوى التخلص من الاتفاق الذي تم بين بوهمند السادس أمير أنطاكيا والمغول والذي تم بإلحاح من هيثيوم الأول ملك أرمينيا الصغرى الذي كانت تربطه علاقة مصاهرة مع أمير أنطاكيا [١٣]

اعتبر أمير عكا هذا التحالف يشكل خطراً شديداً على صليبي الشرق، لأنه وقع بضغط من أرمينيا ، وأن ذلك سيؤدي إلى اعتماد الطقوس النصرانية الأرمينية بدل الكاثوليكية ، بالإضافة لانزعاج تجار البندقية المتواجدين في عكا وما حولها لأن المغول كانوا حلفاء غريمتهم جنوا.[١٤]

أما مسيحي الشرق فقد وقفوا مواقف متفاوتة من المغول ، فقد أحجم بقايا الصليبيين في الشام عن التعاون معهم، ونظروا للمغول نظرة شك وخوف، بل وتعاونوا أحيانا مع المماليك ضدهم[١٥].

ولم يكن حليفا للمغول إلا أمير أرمينيا الصغرى ،و بوهيمند السادس أمير أنطاكية وطرابلس و مطران اليعاقبة في حلب والبابا اسكندر الرابع الذي أرسل إلى هولاكو يهنئه على بطولاته ويدعوه للدخول في النصرانية ، لذلك لم يقم هولاكو بالاعتداء على نصارى حلب، ولم يتعرض لكنيسة اليعاقبة في الوقت الذي أحرق فيه مسجدها وذبح معظم أهلها من المسلمين بتحريض من حليفه ومرافقه الصليبي هيثيوم الأول [١٦].

المبحث الثاني: قيام دولة المماليك البحرية في مصر والشام

نشأ المماليك الذين نهضوا إلى مهمة الدفاع عن مصر والعالم الإسلامي في مواجهة المغول والصليبيين ضمن تشكيلات السلطة الأيوبية . وكان مقر هذه الفئة في جزيرة الروضة داخل نهر النيل. ومن هنا اشتهروا باسم المماليك البحرية،

وقد ازداد نفوذ المماليك بِمُرور الزمن ، حتى أصبحوا يهيمنون على مركز صناعة القرار في الدولة العربية الإسلامية ، وازداد نفوذهم في زمن الأيوبيين الذين حكموا مصر والشام ، وانقلبوا عليهم بعد وفاة أخر سلاطينهم نجم الدين أيوب ،ثم نصبوا شجرة الدر سلطانة عليهم في سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م ، وهي أول امرأة وُلِيت شؤون المسلمين[١٧]

ومنذ تأسيس دولة المماليك البحرية في سنة ٦٤٨هـ /١٢٥٠م ، وحتى مقدم العثمانيين في العام ٩٢٣هـ/١٥١٧م حكم المماليك أكثر من ٢٧٥ سنة انقسموا خلالها إلى دولتين : الأولى هي الدولة البحرية ومؤسّسها عزّ الدين أيبك، وحكمت بين سنتي ٦٤٨-٧٨٤ هـ/١٢٥٠-١٣٨٢ م ؛ وكلمة البحرية أطلقت على طائفة من المماليك قبل تأسيس دولتهم، وهذه الطائفة هي التي أسكنها سيّدها الصالح نجم الدين أيوب في قلعة الروضة في نهر النيل فعُرفوا بالبحرية،[١٨]

و الدولة الثانية هي دولة المماليك البرجية التي أسست سنة ٧٨٧هـ /١٣٨٢م وأصل ملوكها من الجنس الجركسي، وسموا بالبرجية لأن المنصور قلاوون عندما أكثر من شرائهم حتّى بلغ عددهم نحو ٣٧٠٠ أسكنهم في أبراج قلعة الجبل، ومؤسّسها الظاهر برقوق الجركسي [١٩].

المطلب الأول :- جهاد المماليك ضد الصليبين

بعد الانتصارات الساحقة التي حققها المماليك على أعتا أعداء الإنسانية المغول وتوقف زحفهم نحو البلاد الإسلامية توجه المماليك نحو تحرير بلاد الشام من سيطرت الصليبيين ففي سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٣م جهز الظاهر بيبرس البندقداري حملة عسكرية حاصر فيها عكا ولم يفلح في تحريرها مما دعاه إلى عقد هدنة مع حاكمها منسحبا باتجاه حلب التي وصلت الأخبار منها بقيام المغول تجهيز قوه عسكرية لاحتلال المدينة وعندما امن

بيبرس خطر المغول توجه لحرب الصليبيين الذين خرقوا بنود الاتفاق لأكثر من مرة وتمكن من محاصرة قلاعهم وتحرير مدن الساحل من سيطرتهم وفعلا تمكن من تحرير (غزة و قيسارية ويافا وصفد وعرقه وهونين وتبنين الرملة) [٢٠]

وبذلك أصبح طريق إلى طرابلس مفتوحا أمامه وفعلا شن هجوما على المدينة التي كانت توصف بشدة حصانة أسوارها لكنه لم يتمكن من دخولها فتوجه باتجاه أنطاكية وحررها من ايدي الصليبين وبذلك حقق اكبر نصرا عسكريا للمسلمين وبذلك أغلق طريق المساعدات العسكرية

القادمة من أرمينيا الصغرى إلى أمارة طرابلس ألا انه لم يتمكن من إكمال مشواره الجهادي بسبب وفاته في سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٨م [٢١]

تاركا أمر الجهاد وإدارة السلطنة إلى المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الذي خلفه في إكمال المشروع الجهادي سالكا أسلوب المهادنة مع الصليبين من اجل التفرغ لحرب المغول الذين شنوا هجوما على مدن بلاد الشام بتحريض من الأرمن و بعض القوى الإسلامية في المنطقة [٢٢].

وعندما امن السلطان قلاوون خطر المغول بدا بالتفكير بطريقة للخلاص من الاتفاقات السابقة مع الصليبيين وفعلا حان الوقت بعد ان خرق الصليبين الهدنة باعتدائهم على التجار المسلمين مما دعا السلطان على الرد بحزم على هذه الخروقات فجهز حملة عسكرية توجه بها ناحية أمارة طرابلس بعد ان استولى على أهم الحصون والقلاع المشرفة عليها ومما سهل الأمر تحرير المدينة وفاة حاكمها بوهيمند السابع مما أثار الخلافات الداخلية بين القوى الصليبية الطامعة في تولي العرش محلة [٢٣].

وفعلا تمكن السلطان قلاوون من تحرير المدينة وتخليصها من سيطرة الصليبين بعد احتلال دام قرابة القرنين من الزمن وبهذا النصر الساحق والذي يعد انجازا عظيما في مشروع تصفية الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي [٢٤] .

تهاوت قوة الصليبين وتقلص وجودهم في بلاد الشام ولم تبقى تحت سيطرتم سوى عكا وبعض المناطق الساحلية ولم يتوقف مشروع الجهاد لدى السلطان المملوكي بل توجه لحصار عكا أخر معاقل الصليبين في المشرق ألا انه لم يكتب له أتمام تحرير المدينة بسب وفاته في سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ، وبذلك استبشر الصليبين ظننا منهم ان مسيرة الجهاد قد توقفت بوفاة قلاوون [٢٥].

المطلب الثاني :- الأشرف خليل بن قلاوون (٦٦٦. ٦٩٣ هـ/ ١٢٦٨. ١٢٩٣م)

هو الأشرف صلاح الدين خليل بن سيف الدين قلاوون ،ولد في مصر سنة ٦٦٦هـ كان يوصف بضخامة الجثة وحسن الهيئة، وجليل المهابة، وعالي الهمة، اشتهر بالشجاعة والإقدام حتى التهور، كان قليل التحرز والاحتياط، ومولعاً بالحروب، تربى في بيت تميز بالسياسة والجهاد وغلبت النزعة العسكري على تصرفاته التي كانت توصف بالخشونة والصرامة ، مما تسببت في قرار والده بإبعاده عن ولاية العهد ، وجعلها إلى أخيه علاء الدين علي ، الذي وافته المنية في عهد أبيه سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م .

وقد أُتهم السلطان خليل من قبل خصومه السياسيين بقتل أخيه من اجل الظفر بعرش السلطنة [٢٦].

توفى السلطان قلاوون في سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ، وخلفه أبنه السلطان خليل في السابع و العشرين من ذي القعدة ، وبذلك أصبح ثامن سلاطين دولة المماليك البحرية [٢٧]

وقد أثنى على مسيرته الجهادية اغلب المؤرخين، ونذكر هنا ما قاله الذهبي : ((لو طالت أيامه لأخذ العراق و غيرها ، فإنه كان بطلاً شجاعاً ، مقداماً مهيباً عالي الهمة يملأ العين و يرجف القلب .رأيته مرات ، و كان ضخماً على وجهه رونق الحسن و هيبة السلطنة ، و كان شديد الوطأة قوي البطش ، تخافه الملوك في أمصارها ، و الوحوش العادية في آجامها .و كانت له لذات ، ولم أحسبه بلغ ثلاثين سنة ، و لعل الله قد عفا عنه و أوجب له الجنة لكثرة جهاده و إنكائه بالكفار))[٢٨].

في حن وصفه ابن تغري بردي بقوله : ((كان الأشرف مفرط الشجاعة و الإقدام ، و جمهور الناس على أنه أشجع ملوك الترك (المماليك) قديماً و حديثاً بلا مدافعة)) [٢٩].

أما أبن إياس فقال عنه : ((كان الأشرف بطلا لا يكل عن الحروب ليلا ونهارًا، ولا يُعرف من أبناء الملوك مَنْ كان يناظره فى العزم والشجاعة والإقدام))[٣٠].

في أول أيام تسلمه السلطة عمل على تعزيز جبهته الداخلية من خلال إلقائه القبض على بعض الأمراء المعارضين له ، فسجن مهنم ، شمس الدين سنقر الأشقر، وسيف الدين بن جرمك الناصري، وحسام الدين لاجين، وبدر الدين بيسري، وجمال الدين أقوش الأفرم المنصوري وغيرهم، وقتل حسام الدين طرنطاي ، والذين كانت لهم السطوة والنفوذ في زمن والده [٣١].

ويكفي الأشرف خليل مجدًا يخلد اسمه بين أعظم قادة التاريخ الإسلامي أنه استطاع استعادة عكَّا من أيدي الصليبيين سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م ، بعد أن استعصت على مَنْ كان قبله من السلاطين لحصانتها، كما تابع جهاده وتمكن واستعاد صور و حيفا و بيروت ، وظل يضيف انتصارات عظيمة إلى سجل هذه الدولة كان من شأنها أن يظل العالم الإسلامي قويا مترابطًا، ويقوم بدوره في البناء الحضاري.

المبحث الثالث: سياسة الاشرف خليل العسكرية

المطلب الأول:- حصار عكا

تعتبر مدينة عكا واحدة من المدن الساحلية المهمة في بلاد الشام فتحها القائد شرحبيل بن حسنة عام ١٦ هـ / ٦٣٧م وأصبحت بعد ذلك من المدن الصناعية التي اشتهرت بصناعة السفن الحربية فضلا عن اشتهارها بالتجارة باعتبارها واحدة من أهم الموانى التجارية في المنطقة(٣٢).

ونتيجة لهذه الأهمية قاد الصليبيين حملة عسكرية عام ٤٩٦هـ /١١٠٣م بقيادة بلدوين الأول وفشلوا باحتلالها وانسحبوا عنها بسبب مناعة أسوارها وشجاعة الحامية الفاطمية التي كانت مكلفة بحماية المدينة بقيادة أميرها زهير الدين ألجيوشي(٣٣).

وفي عام ٤٩٧ هـ / ١١٠٤م عاود بلدوين مرة أخرى لاحتلال المدينة بعد ان استعانة بالأسطول الجنوي والذي حاصرها من جهة البحر وتمكن من احتلالها وعمل السيف بأهلها متخذين منها قاعدة لانطلاق حملاتهم باتجاه بلاد الشام ، وبقيت بأيديهم حتى حررها صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م (٣٤)

لكن المسلمين لم يحافظوا عليها عسكريا وعاد أليها الصليبيين بعد عامين من تحريرها وبقيت بأيديهم رغم كثرة محاولات الجيش الإسلامي لتحريرها ولم يتم لهم الأمر ألا في زمن السلطان الأشرف خليل (٣٥)

الذي استلم السلطة بعد وفاة والده السلطان الناصر قلاوون ، أدرك الصليبين ان خطر المسلمين على أبواب عكا فحاولوا استمالت السلطان الاشرف خليل من خلال تقديمهم الأعذار والتوسل إليه من اجل عقد هدنة بين الطرفين تامين لهم إبعاد الخطر الإسلامي عن المدينة ولو لفترة قصيرة من اجل وصول الإمدادات العسكرية لهم (٣٦).

أولاً: الأسباب التي دعت السلطان خليل إلى حصار عكا

١- خرق الصليبين الهدنة المعقودة بينهم وبين والده السلطان قلاوون والتي كان من بين نصوصها حرية تنقل رعايا المسلمين وتجارهم بحرية في المناطق التي يحتلها الصليبين لكن حدث العكس فاعتداء الجنود الايطاليين على المسلمين المتواجدين في عكا يعد خرقا واضحا للاتفاق المبرم بينهم وبين السلطان قلاوون (٣٧).

٢- رفض الصليبيين تسليم الجناة إلى السلطان خليل للاقتصاص منهم واكتفوا بتقديم الاعتذار مما اعتبره السلطان أهانه له وفرصة للتحرر من شروط الهدنة والاتفاقات السابقة.

٣- رغبة السلطان خليل في إكمال الهدف الذي كان يحلم به والده الا وهو تحرير المدينة التي كان يحاصرها بجنوده لكن موت السلطان أنقذ المدينة من السقوط في تلك المرحلة.

٤- تمتع جيش المماليك بالمعنويات العالية وخصوصا بعد تحقيق النصر على الصليبين في طرابلس وتحريرها من أيديهم واتخاذها قاعدة للانطلاق نحو تحرير سواحل بلاد الشام.

٥- توحيد كلمة مماليك بلاد الشام واستجابتهم السريعة لطلب السلطان في مصر سهل أمر تسير الجيوش المصرية والشامية فضلا عن تعهدهم بتقديم كل الدعم المادي والمعنوي لإنجاح حصار المدينة التي كانت توصف بصعوبة اختراق أسوارها العالية لذا جهزوا السلطان بأنواع من المنجنيقات العملاقة التي سهلت اختراق أسوار المدينة [٣٨].

ثانيا :- خطة السلطان باقتحام المدينة

لكن السلطان بحنكته العسكرية كان يعلم ما يخطط له الأعداء فضلا عن علمه ما يعانيه الصليبين في هذه المرحلة من مشاكل داخلية لذا حاول استغلال الفرصة واعد العدة اللازمه لاحتلال المدينة ولانطلاق منها إلى تحرير كامل سواحل بلاد الشام من دنس الصليبين[٣٩]

فجهز حملة عسكرية من عسكر مصر ومساعدة أمراء الشام حيث خرج ، النائب حسام الدين لاجين السلحدار نائب دمشق ، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر بن الملك المنصور، وبصحبته مجانيق وزردخاناه [٤٠].

ووصل نائب طرابلس سيف الدين بلبان الطباخى، ومعه عسكر طرابلس، والأمير علم الدين سنجر الدويداري ، علم الدين سنجر الدواداري، نائب الشام ، والأمير سيف الدين طغريل الايقاني ،[٤١]

جمع هولاء الأمراء كل ما لديهم من قوة عسكرية مجهزه بأدوات الحصار وأسلحة ثقيلة يمكن الاستفادة منها في سرعة اختراق أسوار المدينة التي كانت توصف بالحصينة [٤٢]

التقى الجيشان الشامي والمصري عند أسوار عكا متخذين مواقعهم التي تم الاتفاق عليها ضمن الخطة التي رسمها السلطان خليل .[٤٣]

ويذكر المؤرخون إن السلطان كانت له اتصالات مع بعض المسلمين المختفين داخل عكا لمعرفة تحركات الصليبيين ووصلته الأخبار أن هذه الليلة سيشن الصليبيين هجوما على جيش الممالك فاستعد السلطان لهم واعد خطة عسكرية بمشورة واتفاق مع قادة الجيش وفي منتصف تلك الليلة شن الأسبتارية والداوية[٤٤]

هجوما على ميسرة المماليك فكمن لهم الأمير بدر الدين بكتاش الفخري خارج المخيم ، فلما وصلوا طوقهم جيش المسلمين وقتل منهم جمع كثر وغنم أسلحتهم وهرب من هرب، في

حين غنم العدو بعض القطع البحرية من جيش الأمير الحلبي الكبير الذي اعد خطته بالانسحاب من السواحل والالتفاف خلف العدو لكن الصليبيين اكتشفوا ما كان يخطط له الأمير فهربوا من طريق أخر [٤٥].

حاول المحاصرون طلب النجدات من القوى الصليبية القريبة منهم فلم يستجيب لهم إلا الملك هنري الثاني ملك قبرص ، والذي وصل إلى عكا متأخرا فوجد نفسه أمام خيار صعب أما قتال المسلمين أو الرجوع إلى قبرص فقرر الرجوع بعد أن تبين له استحالت تحقيق نصرا عسكريا على جيش المماليك [٤٦].

بعدما شعر المدافعين بضعف قوتهم وعدم قدرتهم على مجابهة جيش الممالك ، اتفق رأيهم على أن يطلبوا من السلطان الاشرف خليل الانسحاب مقابل دفعهم أموالاً وهدايا وتحف ، تدفع إلى السلطان سنويا، لكن الأخير رفض طلبهم بعد أن استشار أمرائه وقادة جيشه ، الذين اجمعوا على ضرورة الاستمرار بالحرب ،لأنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من النصر ، مذكرين السلطان برغبة والده قلاوون الذي كان مصرا على فتح عكا

و طرد الصليبيين من سواحل بلاد الشام نهائياً ، فضلا عن سقوط بعض الشهداء والجرحى من المسلمين ،لذا قرر السلطان طرد الوفد المفاوض طالبا إياهم بتسليم المدينة مقابل الحفاظ على حياة السكان . [٤٧]

بعد أن اكتملت الاستعدادات العسكرية أعلن السلطان بدأ الهجوم الكاسح على المدينة يوم الجمعة ٢٧ جماد الأول سنة ٦٩٠ هـ بمهاجمة أسوارها المنيعة بالمنجنيق فمكنهم الله من أحداث ثقوب في جدرانها تسلل المسلمون من خلالها إلى وسط المدينة ، مما أصاب الرعب في قلوب المدافعين الذين انسحبوا إلى الداخل ، فتحصن البعض منهم داخل الأبراج ضننا منهم أنها تحفظهم من نيران المماليك ، وهرب القسم الأخر منهم عن طريق البحر باتجاه قبرص [٤٨] .

عندما أتم السلطان السيطرة على داخل المدينة، وتمركزه فيها ، توجه باتجاه بقايا الصليبيين المتحصنين بالجزر القريبة من المدينة ، لكنه لم يتمكن من اقتحامها في بادئ الأمر، مما دعاه إلى التفاوض معهم ، والسماح لهم بالبحار بما يملكونه من تجهيزات عسكرية وبشرية باتجاه قبرص ، وتم الاتفاق على ذلك ، وفعلا أرسل السلطان قوة عسكرية صغيرة من اجل أتمام الأمر واستلام جميع المعاقل التي كانوا يتحصنون بها ، لكنهم كانوا يبيتون أمراً أخر فلم يكتشف السلطان خدعتهم ألا بعد أن قتلوا جميع من جنوده [٤٩] .

مما أثار سخط المسلمين عليهم ، فحاول السلطان الثأر لجنوده ومعاقبة قوات الداوية على خداعهم له ، بتهديم جميع قلاعهم التي كانوا يتحصنون بها ، وفعلا حدثت معارك

ضارية بين الطرفين تمكن المماليك من تحقيق النصر المؤزر على أعداء الله ، وهكذا سقطت عكا بعد أن حاصرها المماليك أكثر من أربعين يوما بعد بقيت بأيدي الصليبين أكثر من مائة عام رغم محاولات المسلمين المتكررة لتحريرها فشلوا في ما حققه السلطان الأشرف خليل، والذي اتبع سياسة الأرض المحروقة مع أعدائه الصليبين فدمر المدينة تدميرا كاملا كي لا يحاول الصليبين الرجوع إليها والاستفادة منها باتخاذها قاعدة لضرب سواحل بلاد الشام مستقبلا(٥٠).

ثم دخلوا في المدينة فوجدوا فيها من الأموال والذخائر والأواني البلور المرصعة بالذهب واللؤلؤ ما لم يقدر على حمله احد فغنموا منها الشي الكثير (٥١).

ويذكر المؤرخ أبو الفدا الذي كان مشاركا في المعركة "أن المسلمين قتلوا وغنموا من عكا شيئا يفوق الحصر " (٥٢).

قال صاحب عقد الجمان : ((أخبرني جماعة منهم: أن منهم من كان كسبه بلغ إلى مقدار ألفي دينار وما دونها من الذي ينهبه ويبيعه للسوقة، وأن شخصا يعرف بسراج الدين ظبيان كان كسبه في عكا نحو ألف وسبعمائة دينار واثنين وعشرين ألف درهم، وحضر إلى المدينة وصحبته ثلاثة أقطار من الجمال تحمل تجارة))(٥٣).

في حين استشهد من المسلمين في عملية تحرير عكا عدد من الأمراء منهم علاء الدين كشتغدى الشمسي، وعز الدين أيبك المعزى، وجمال الدين أقوش الغتمى، وبدر الدين بيليك المسعودي، وشرف الدين قيوان السكري، والعزى نقيب الجيوش، وست مقدمين من الحلقة، وثلاثة وخمسون جنديا من الحلقة، وثلاثون من أجناد الأمراء(٥٤).

رغم ما حققه السلطان من نصر مؤزر لكنه لم ينهي بعد ما كان يخطط له ألا وهو تحرير جميع مدن وسواحل بلاد الشام حيث لم يبقى له سوى بعض المواقع في صور وصيدا وبيروت (٥٥).

ثالثا:- أسباب هزيمة الصليبين في عكا

١- عدم وصول المساعدات و الإمدادات العسكرية التي كان قد وعدهم بها أمراء الصليبيين في المناطق القريبة من عكا ، فضلا عن رفض البابا إرسال حملة صليبية لنجدة أهل عكا وإنقاذ المدينة من السقوط بأيدي المسلمين(٥٦).

٢- نجاح سياسة المماليك وخاصة في عهد السلطان قلاوون باختراق صفوف الصليبيين بتقديم الضمانات التي تسهل وتحافظ على مصالحهم التجارية والعسكرية من خلال ربط كل مجموعة باتفاق ومعاهده تمنعه من نصرة باقي الصليبين اذا تعرضوا إلى عملية عسكرية من

قبل المماليك وهذا ما يفسر لنا عدم اشتراك الجنويين في فك الحصار عن عكا بسبب التزامهم بالمعاهدة التي وقعوها مع السلطان قلاوون في سنة ٦٨٩هـ فضلا عن رغبتهم بالانتقام من البنادقة الذين لم يقدموا العون للجنويين إثناء حصار المماليك لإمارة طرابلس التي كانت تحت سيطرتهم(٥٧).

٣- الاختلافات الداخلية بين أمراء عكا، وعدم وجود خطة عسكرية متفق عليها تسببت في حالت الهلع وعدم الانسجام بين سكان المدينة الذين كانوا عبارة عن مزيج غير متجانس من الجاليات الصليبية ، حيث كان جلهم من الصليبين الهاربين من أنطاكية وطرابلس اي من المناطق التي حررها الجيش الإسلامي مما سهل امر اختراقهم(٥٨).

٤- انتباه السلطان الاشرف خليل إلى جغرافية المنطقة حين وضع قوة عسكرية بحرية منعت وصول الإمدادات العسكرية إلى المحاصرين عن طريق مدينة صور والتي تعتبر من أهم المنافذ التي كان الصليبين يرسلون الإمدادات عن طريقا والتي كانت السبب في إفشال حصار المدينة من قبل القوى الإسلامية.

٥ – انسحاب وعدم جدية ملك قبرص بتقديم الدعم الحقيقي للمحاصرين رغم وصوله إلى أسوار عكا واكتفى بمحاولة أقناع السلطان الاشرف خليل بالانسحاب عن المدينة.

المطلب الثاني :- تحرير مدن سواحل بلاد الشام

أولا :- تحرير مدينة صور

تقع مدينة صور على الساحل اللبناني في الضفة الشرقية للبحر المتوسط في منتصف المسافة بين صيدا وعكا ، وتمتاز المدينة بحصانة دفاعية طبيعية ، كونها محاطة بالمياه من ثلاث جهات ، فضلا عن أحاطتها بأسوار عالية منيعة شكلت خطا دفاعيا مهما بوجه الغزوات التي تعرضت له المدينة على مر العصور التاريخية(٥٩)

حاول الصليبيين احتلالها لمرت عديدة لكنهم فشلوا بسبب مناعة أسوارها والمقاومة الباسلة من أهلها كان أولها في سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م ، حين نصب الصليبيين ثلاث أبراج من الخشب وشحنوها بالمقاتلين لكن بفضل مقاومة أهلها تمكنوا من إحراق الأبراج بمن فيها مما دعى الصليبيين إلى التراجع عن المدينة ، لكنهم عادوا إليها محاولين احتلالها لمرات ومرات ، ولم يستطيعوا احتلالها إلا في سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤ م حيث اعدوا حملة عسكرية كبرى أشركوا فيها جميع صنوف الجيش البرية والبحرية مستخدمين أنواع الأسلحة ، رغم مقاومة أهلها لكن طول الحصار وشدة نيران العدو ،فضلا عن قلة المساعدات الخارجية للمدينة سبب في سقوطها بيد الصليبيين ، بعد ربع قرن من الصمود والاستبسال بوجه الأعداء(٦٠) .

بالرغم من السلطان الاشرف خليل استطاع كسر شوكة الصليبيين من خلال القضاء على أخر معاقلهم ألا وهي عكا ، لكنه كان يشعر بضرورة أتمام النصر النهائي على أعداء الإسلام، من خلال طردهم من جميع المناطق في بلاد الشام التي كانوا يحتلونها ،وفعلا مكنه الله من ذلك.

ففي سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م وجه قواته اتجاه مدينة صور والتي كانت تحت الاحتلال الصليبي منذ القرن الخامس الهجري ، فشددت القوات الإسلامية حصارها على المدينة ، حتى اضطر اهلها إلى طلب الأمان ، فأمنهم المسلمون على أموالهم وأنفسهم ، مقابل تسليمهم المدينة دون قتال وبذلك رجعت صور الى سيطرت المماليك . (٦١)

ثانيا :- تحرير مدينة صيدا

في سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠م احتلها الصليبيين بعد ان حاصرها الكونت بلدوين الأول ملك بيت المقدس لمدة ٤٧ يوما ، وأصبحت واحدة من الولايات الأربعة ، التي تألفت منها مملكة بيت المقدس (٦٢) .

ففي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، تمكن صلاح الدين الأيوبي من تحرير المدينة من أيدي الصليبيين لكنها لم تلبث طويلا بأيديهم ، حيث تمكن الأعداء من استرجاعها في سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩ ، وبقيت تحت السيطرة ألصليبيه إلى سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م (٦٣) .

حيث وجه الظاهر بيبرس احد أمرائه إلى صيدا لتحريرها من الصليبيين، وطالبه بالمرابطة في سواحلها ، ولما شعر الأعداء بضعف مقاومتهم لجيش المماليك ، طلبوا الصلح على أن تكون صيدا مناصفة بين المسلمين والصليبيين ، واشترط بيبرس عليهم هدم قلعة شقيف ، وإطلاق سراح التجار المسلمين الذين كانوا أسرى لديهم ، ودفع دية المسلمين الذين قتلوهم ، وافق الصليبيين على شروط السلطان الظاهر بيبرس ، وعقدوا الاتفاق لمدة عشر سنوات ، وبذلك بقيت المدينة تحت سيطرتهم إلى ان حررها السلطان الاشرف خليل في عام ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ، ضمن حملته التي طهر بها جميع سواحل بلاد الشام من الدنس الصليبي، (٦٤)

أرسل السلطان الاشرف خليل أميره الشجاعي على رأس قوة عسكرية كبيرة لمحاصرة المدينة التي كان يحميها فرسان المعبد الأسبتارية ، والذين كانوا متحصنين في قلاعهم المنيعة ، التي لم تحميهم من نيران المسلمين ، فلم يصمدوا طويلا أمام ضربات المماليك فهربوا ليلا بمراكبهم إلى جزيرة قبرص تاركين المدينة لجيش المسلمين ، فدخلوها محررين في ١٥ رجب سنة ٦٩٠ المصادف ٢٣يولو ١٢٩١م ، بقيادة السلطان الاشرف خليل ، الذي أمر بهدم أسوار المدينة وقلاعها ، لمنع عودة الصليبيين في المستقبل اليها، وألزم الصليبيين الذين لم يتمكنوا من الهروب وبقوا في المدينة إلى دفع الجزية ، فضلا عن قيامه بإسكان عشائر

التركمان والمسلمين في المدينة ، ليكونوا قوة ضاربة بوجه الصليبيين في حالة تفكيرهم بالرجوع إلى المدينة مستقبلاً[٦٥].

ثالثا :- تحرير بيروت

لم يتوقف زحف المماليك باتجاه مدن الساحل عند حدود مدينة صيدا ، بل استمروا بخطتهم المرسومة التي كانت تهدف إلى طرد الصليبيين نهائيا من بلاد الشام ،وفعلا مكن الله المسلمين من تحرير بيروت، والتي كانت تحكمها أميرة صليبيه تدعى اشيفا اوف أيبلن والتي كانت ترتبط مع المماليك باتفاقيات سلام مقابل عدم تدخلها بالصراع الدائر بينهم وبين الصليبيين ، وبقيت على موقفها المحايد حتى وفاة السلطان قلاوون ، ولما تحول العرش إلى السلطان الاشرف خليل، وباشر في مشروعه الجهادي ضد الصليبيين ، شعرت الأميرة الصليبية بالخوف وخصوصا بعد الانتصارات المتلاحقة التي حققها المسلمين على أتباع الصليب ، فحاولت تحشيد ما تتمكن عليه من قوه عسكرية لعرقلة تقدم المسلمين ، الذين أصبحوا على أبواب مدينة بيروت ، وفعلا حدثت بعض الصدامات على أسوار المدينة ، نتج عنها هروب الحامية العسكرية التي كانت مكلفة بحراستها ، مما سهل دخول المسلمين إليها دون قتال ، رغم ذلك هدم المماليك أسوار وقلاع المدينة ،وتحويل كاتدرائيتها إلى مسجد ، يصلي فيه المسلمين [٦٦]

وبعد ان استقر الأمر في بيروت إلى جانب السلطان ، أكمل مشواره بتحرير ما تبقى للصليبيين مواقع ومدن على سواحل بلاد الشام ، وفعلا تمكن من دخول مدن عتليت، و جبيل ، و طرطوس وغيرها .

وبذلك قضى السلطان الاشرف خليل على أخر معاقل الصليبيين في المشرق الإسلامي ، وعمت مظاهر الابتهاج بالنصر مدة شهر في دمشق، وخُلِّد اسم السلطان الملك الأشرف خليل الذي أعانه الله على تحرير بلاد الشام بالكامل من الصليبيين .[٦٧]

دخل السلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون دمشق في أبهة النصر و مكث بها حتى اطمأن على زوال الخطر نهائياً ثم قفل راجعاً إلى القاهرة في أواخر رجب فدخلها في تاسع شعبان ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م في أبهة عظيمة و كان يوماً مشهودا[٦٨].

رابعاً: فتح قلعة الروم

بعد الانتصارات الساحقة التي حققها السلطان الاشرف خليل في سواحل بلاد الشام وطرد الصليبين منها نهائيا توجه إلى محاربة ملك ارمينيا الذي كان قد تحالف مع الصليبيين والمغول

ضد المماليك ، مما سبب لهم الكثير من المشاكل العسكرية، على الرغم من كل ذلك لم يوجه له السلطان المملوكي حملة عسكرية مباشره ، بسبب انشغاله بتحرير سواحل بلاد الشام ، ولما فرغ السلطان من الصليبيين توجه بعسكره باتجاه قلعة الروم، والتي يتخذها الأرمن مقرا لهم والانطلاق منها لمهاجمة سواحل بلاد الشام ، فضلا عن لموقعها الإستراتيجي والتي تقع بالجنوب من الرها(في محافظة أورفا التركية حاليا)[٦٩].

ففي شهر ربيع الأول من سنة ٦٩١ هـ / ١٢٩٢م ، توجه السلطان الاشرف خليل من القاهرة بقوه عسكرية كبيره باتجاه حلب ، التي أصبحت مقرا لتجمع الجيوش المصرية والشامية ، ومنها بدا الانطلاق نحو فتح قلعة الروم ، والتي استطاعوا فتحها بعد حصار دام ثلاثة وثلاثين يوما ، استخدم فيها السلطان المملوكي مجموعة كبيره من المنجنيقات ، حتى فتحها عنوة في الحادي عشر من رجب سنة ٦٩١هـ / ٢٧ يونيو ١٢٩٢م[٧٠].

فخرب أسوارها ، وهدم قلاعها وأسواقها، قتل واسر منهم أعداد كثيرة ، ومن بينهم ملك أرمينيا نفسه البطريرك ستيفان الرابع، وتم عرضه في شوارع دمشق والقاهرة مع أسرى الأرمن، بعد سقوط قلعة الروم تحول مقر الكنيسة الارمنية إلى مدينة سيس التي هاجمها المماليك بعد سنة من وفاة الاشرف خليل فتنازل أميرها هيثوم الثاني عن مدن وقلاع مرعش و بهنسا و تل حمدون[٧١].

وبعد أن حقق جميع هذه الانتصارات العسكرية رجع إلى القاهرة التي زينة لاستقبال قائدها المنتصر على أعداء الإسلام ، فاستقبله أهلها بالدعاء والهتافات وعبارات الترحيب ،لكن فرحت النصر لم تدم طويلا لهذا السلطان فسرعان ما تآمر علية بعض أمرائه من المماليك فقتلوه في ٢ محرم من سنة ٦٩٣ هـ / المصادف ٢ ديسمبر ١٢٩٣م، وبذلك توقفت حملات المماليك العسكرية مؤقتا ، ضد الصليبيين حتى اعتلى العرش أخيه السلطان محمد بن قلاوون ، الذي كمل مشوار الحرب ضد أعداء الإسلام من مغول وصليبيين.

وفاته

أدت سياسة الأشرف خليل الداخلية وتقليصه نفوذ كبار رجال دولته الذين كانوا يشغلون مناصب مهمة في زمن والده السلطان قلاوون ، وتقريبه خاصته وجعل ابن السلعوس وزيرا له بدل عن الأمير حسام الدين طرنطاي ، الذي كان يشغل هذا المنصب في زمن والده ، ولم يكتفي بعزله بل زجه في السجن وصادر أمواله ،ونتيجة هذه الضغوط التي مارسها السلطان وحاشيته على باقي الأمراء ، مما تسبب في أثارة نقمة عدد كبير منهم ، فتآمروا عليه أثناء

خروجه للصيد فقتله الأمير بيدرا في ٢ محرم من سنة ٦٩٣ هـ / ٢ ديسمبر ١٢٩٣م بعد حكم دام لمدت ثلاث سنوات قضاها مجاهد للصليبيين والمغول ، وانتقلت السلطنة بعد وفاته إلى أخيه الأصغر الناصر محمد لأنه لم يعقب سوى ابنتين(٧٢).

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية ،ج٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣، ص١١٠١.

(٢) المرجع نفسه ، ص١١٠٢.

(٣) المرجع نفسه ،ص١١٠٤.

(٤) واحدة من الدول الإسلامية التي أسستها سلالة تركية ،و لعبت دورا مهما في التصدي للغزو البزنطي والصليبي.

(٥) عاشور، المصدر السابق ، ص١١٠٩.

(٦) عبد القادر أحمد يوسف، علاقات بين الشرق والغرب، المكتبة العصرية. صيدا ، ص٢١١.

(٧) المرجع نفسه ،ص٢١٣.

(٨) عاشور، الحركة الصليبية ،ج٢ ، ص١١٠٣.

(٩) المرجع نفسه ، ،ص ١١٠٣.

(١٠) المرجع نفسه ،ص١١٠٤.

(١١) ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج٧، القاهرة ، ١٩٣٥، ص ٢٦٥.

(١٢) قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية الكويت، ١٩٩٠، ص١١.

(١٣) شفيق جاسر احمد ، محاولات التحالف المغولي الصليبي ضد المسلمين ، ص١٠.

(١٤) المرجع نفسه ، ص١١.

(١٥) طه مصطفى بدر، مغول إيران بين المسيحية والإسلام ، دار الفكر ، ص١٢٤.

(١٦) عاشور، الحركة الصليبية ، ج٢ ص ١١٠٣.

(١٧) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زياده ، القاهرة ١٩٦٥ ،ج٢ ، ص٨٤٥.

(١٨) زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية ، بيروت ،ص١٢٢.

(١٩) المرجع نفسه،ص١٢٣.

(٢٠) جميع هذه المدن تقع في الساحل الفلسطيني.

(٢١) ابن عبد الظاهر ، محي الدين عبد الله السعدي ، الروض الزاهر في سيرة السلطان الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخوطر ، الرياض ، ١٩٧٦ ، ص١٤٦.

(٢٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٧ ،ص١٤٨.

[٢٣] بيبرس الداويداري ، الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ج١٠، مكتبة جامعة القاهرة، ص٩٥.

[٢٤] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ص١٤٩.

[٢٥] المصدر نفسه ، ص١٤٩.

[٢٦] المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص٧٥٣.

[٢٧] المصدر نفسه ، ص ٧٥٣.

[٢٨] الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد ، دول الإسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، القاهرة ، ١٩٧٤، ص١١٩.

[٢٩] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج٧ ، ص ١٤٨.

[٣٠] محمد بن أحمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٦، ج١،ق١، ص٢٤١.

[٣١] المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ص٧٥٨.

[٣٢] المصدر نفسه ، ص٧٥٨.

[٣٣] عاشور ، الحركة الصليبية ، ص١١١٧.

[٣٤] المرجع نفسه ، ص١١١٨.

[٣٥] المقريزي ، السلوك ،ص٧٥٩.

[٣٦] عاشور ، الحركة الصليبية ،ص١١١٨.

[٣٧] سرور ،جمال الدين ، دولة بني قلاوون ، القاهرة ، ١٩٧٤، ص٧٦.

[٣٨] المرجع نفسه ، ص٧٧.

[٣٩] ابن عبد الظاهر، محي الدين عبد الله السعدي ، الروض الزاهر في سيرة السلطان الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخوطر ، الرياض ، ١٩٧٦ ، ص١٣٨.

[٤٠] بيت الزرد لما فيها من دروع وزرد. كان يحفظ فيها السلاح. وهي أيضاً السلاح خاناة.

[٤١] ابن عبد الظاهر ، المصدر السابق ، ص٣١٠.

[٤٢] المقريزي ، السلوك ، ج١ ،ص٧٦٠.

[٤٣] ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، تاريخ أبن الفرات ، تحقيق قسطنطين زريق وعلاء عز الدين ، بيروت ، ١٩٣٩ ،ج٨ ،ص١١.

[٤٤] فرق عسكرية صليبية أو جماعة دينية صليبية محاربة لذين كانوا يعرفون في العصور الوسطى بفرسان هيكل سليمان، نسبة إلى مقرهم في بيت المقدس . ساهمت بشكل بارز في الحروب الصليبية.

[٤٥] المقريزي ، السلوك ،ص٧٦١.

[٤٦] المصدر نفسه ، ص٧٦١.

[٤٧] حامد غنيم ، ابو سعيد، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الإسلامية ،مكتبة الشباب ، ١٩٧١ ، ج٣، ص٢٢٠.

[٤٨] رنسيمان ، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني. دار الثقافة. بيروت ١٩٦٧، ج٣، ص٧٠١.

[٤٩] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٨ ،ص١٦.

[٥٠] رنسيمان، المصدر السابق، ج٣، ص٧٠٥.

[٥١] ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج٨ ،ص١١٣.

[٥٢] الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ، المختصر في أخبار البشر ، ج٤ ، بيروت ،ص٢٥.

[٥٣] العيني ،ابو محمد محمود بن احمد الحنفي ، عقد الجمان عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ص٦١.

[٥٤] أبو الفدا ، المختصر ، ج٤ ص٢٥.

[٥٥] حامد غنيم ، الجبهة الإسلامية ،ج٣، ص٢٢٢.

[٥٦] رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ص٧٠٩.

[٥٧] أبو الفد ، المختصر ، ص٢٥.

[٥٨] ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ،ج٨ ، ص١٢١.

[٥٩] عاشور ، الحركة الصليبية ،ص ١١٢٤.

[٦٠] رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣، ص٧٠٨.

[٦١] أبو الفدا، المختصر ،ج٤ ، ص٢٦.

[٦٢] عبد العزيز سالم ، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ، بيروت ،١٩٧٠ ، ص١٦٥.

[٦٣] المقريزي ، السلوك ، ج١ ،ص٦٨.

[٦٤] المصدر نفسه ، ص٦٩.

[٦٥] بيبرس الدويداري ، زبدة الفكرة ،ص ١١٣.

[٦٦] المرجع نفسه ص١١٤.

[٦٧] المقريزي ، السلوك ،ج١ ،ص٧٠.

[٦٨] ابن عيد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص١٤٥.

[٦٩] بيبرس الدوايدار ، زبدة الفكرة ، ص٢٩٥.

[٧٠] المقريزي ، السلوك ، ص٧٠

[٧١] المصدر نفسه ، ص٧١.

[٧٢] بيبرس الدوايدار ، زبدة الفكرة ، ص٢٩٦.